الأهرام

المصدر: الاتحاد

التاريخ : ١١ يونيو ٢٠٠٢

# تصاعد القتال في جنوب السودان.. الأبعاد السياسية والمضامين العسكرية

عمر البشير

وكالة الأهرام للصحافة:

تصاعدت حدة القتال بين القوات الحكومية وحركة التمرد في جنوب السودان أخيراً. الوضع الذي يتقاطع مع الأحاديث المتفرقة بشأن ايجاد تسوية سياسية للحرب الأهلية المستمرة منذ حوالى تسعة عشر عاماً، ويثير تساؤلات وتكهنات عدة إزاء الآليات المناسبة لحسمها، حيث ترى بعض الدوائر ان الأسلوب العسكري يصعب توقع نجاحه،في ظل حالة دائمة من التوازن الهش بين الطرفين،لذلك سيستمر في مراوحة مكانه. فتارة تتفوق الحكومة وأخرى تتقدم حركة التمرد،وتبقى الحرب سجالاً على هذا المنوال، اذا لم تتدخل قوى خارجية بفاعلية،لذلك فالتصعيد الأخير حلقة في سلسلة طويلة،لكنه قد يؤثر على موازين القوى الحالية،اذا حافظت الحكومة على تفوقها ومنعت حركة التمرد من أخذ زمام المبادرة من جديد،لأن السنوات الماضية كشفت عن تماسك في تحركاتها العسكرية وثبات في مناوشاتها المسلحة،حيث استطاعت تنويع مصادرها العسكرية.

ومع ذلك فان بعض الأوساط السودانية وعدداً كبيراً من الدول الاقليمية يعتقدان في أهمية الحل السياسي، الذي بدأ يلقى تشجيعاً من قبل بعض القوى الدولية، على اعتبار فشل النهج العسكري طوال السنوات الماضية في تحقيق أغراضه. وبالتالي فتنشيط الوسائل السياسية أصبح أمراً مطلوباً، لكنه بانتظار تكاتف الإرادة من جانب العناصر المعنية بالمسألة السودانية. والى حين تتوافر القواعد اللازمة لذلك ستبقى الآلة الحربية خياراً حاضراً قد يحقق أهدافاً سياسية في المدى المنظور، لأنها ستفرض وقائعها وتضغط على الطرف المهزوم. وفي هذا المضمار استعادت القوات الحكومية مدينة «قيسان» الاستراتيجية وخمس قرى في طريق تقدمها اليها، كما تمكنت من الوصول الى مدينة «مكواج» في ولاية بحر الغزال، التي تمثل أهمية نفطية عالية. وقد اعترفت حركة التمرد بسقوط «قيسان» وأعلنت عن صد أربعة محاور استهدفت الاستيلاء على مدينة «الكرمك» وقالت ان القوات الحكومية فشلت في استعادة مدينتي «قوقريال» و«التونج» وتم صدها حتى مشارف مدينة «واو». واعتبر بيان للحركة أن الهجوم الأخير «محاولة لإظهار اليد الطولى للنظام السوداني في ميدان القتال وأن على الساعين من المجتمعين الدولي والاقليمي للسلام في السودان أخذ هذه الحقيقة في الاعتبار». ومهما كان الغرض الأساسي من وراء هذا الهجوم فإنه ينذر بصعوبة صيف هذا العام، إذ يبدو أن الخرطوم رأت أهمية أخذ زمام

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

المباردة قبل استعداد حركة التمرد من تكثيف هجماتها الصيفية المعتادة واستغلال موسم هطول. . الأمطار

لتوسيع نطاق حرب العصابات

وتطرح هذه التطورات عدة استفسارات حيال الاهتزاز الذي ظهرت بوادره على قوات حركة التمرد، على الرغم من محاولات العقيد جون قرنق جمع شمل أكبر مجموعة من القوى الجنوبية تحت قيادته وجهوده لتنويع مصادر سلاحه خلال الفترة الماضية. ومساعيه الدؤوبة لاحكام السيطرة السياسية والعسكرية على الأقاليم الواقعة تحت هيمنة قواته. فما هي أسباب التفوق الحكومي وما هي دلالات وأبعاد التراجع في حركة التمرد؟

## مطالب سياسية

الحاصل أن كل طرف في الحرب الأهلية السودانية يحاول تأكيد تفوقه العسكري، اعتقاداً منه أن الواقع العملي على الأرض سيلعب دوراً مهماً في أي مفاوضات جادة قادمة، لذلك فإن احكام حركة التمرد سيطرتها على المناطق الجنوبية من الممكن أن يساعدها كثيراً في المستقبل، ويعزز مطالبها السياسية، بينما نجاح الحكومة في استعادة أجزاء حيوية من الأراضي التي فقدتها يضاعف من مركزية أهدافها في الحفاظ على وحدة البلاد. وتنبع أهمية هذه النوعية من الاعتقادات الراسخة من كون السودان على وشك الدخول في مرحلة حاسمة من المخاض السياسي، خاصة ان التوقعات المتفائلة بشأن الأخذ بكثير من ملامح تقرير جون دانفورث المبعوث الأمريكي للسودان بدأت تتزايد لدى عدد كبير من المراقبين. وأن خيار الوحدة سيكون خياراً أساسياً. من هنا يحاول كل طرف التأثير على شكلها وفقا لمصالحه. فحركة التمرد ترفضها - الوحدة - قبل تطبيق حق تقرير المصير. والحكومة تقبل بها، لكن بعض دوائرها تخشى التسويف في ماهيتها وتسعى الى إبعاد شبح الكونفيدرالية والاقرار باقتسام النفط مع كل الطوائف الجنوبية وليس مع حركة التمرد التي يقودها قرنق فقط. ومن ثم فأي تصعيد عسكري يفضي في نهايته الى نتائج سياسية، تتحدد سلبا أو ايجاباً حسب نوع ودرجة الانتصار الذي يحققه هذا الطرف أو ذاك.

واذا كانت حلقات الاقتتال الماضية خضعت لحسابات اقليمية فان الحلقة الجديدة في نظر بعض المصادر السودانية وقعت في مجال تبدو الرؤية الأمريكية قريبة منه. وبعد التلميحات الايجابية التي حملها تقرير دانفورث وتهيئة الأجواء للأخذ بكثير من بنوده أعرب والتر كانستنر مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشؤون الأفريقية خلال جلسة استماع في لجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب اخيراً معارضة إدارة الرئيس بوش بندا ورد في مشروع قانون لفرض عقوبات على السودان مُجمد في الكونجرس حاليا، وهو ما يعزز التكهنات الخاصة بجدية واشنطن في التدخل في المسألة السودانية للتوصل الى حل سياسي قريباً، ويضاعف من احتمالات عودة الشركات الأمريكية للاستثمار في النفط السوداني. وبالتالي هناك امكانية تشجيع المفاوضات والحؤول دون مزيد من التصعيد العسكري في الحرب الأهلية في الوقت الراهن، باعتبارها عائقاً رئيسياً امام أي محادثات جادة في المدى المنظور. . وقد هبت بعض التحليلات الى تعويل الادارة الأمريكية كثيراً على المفاوضات المتوقعة بين الخرطوم وحركة التمرد في نيروبي التي ستبدأفي 17 يونيو الجاري. وتعتقد أن هناك فرصة للتطرق الى ملفات جوهرية، بخلاف الاجتماعات السابقة. وتتزايد هذه الأهمية بتأكيد بعض المصادر في القاهرة أن كل طرف سيحاول إثبات جديته في تناول القضايا المطروحة وإلقاء تبعة الاخفاقات السابقة على الآخر وعلي ذلك فالجولة القادمة ستشهد شداً وجذباً أكثر من ذي قبل، لاسيما أن دوائر عدة ستكون قريبة من مداولاتها ورصد مناقشاتها واشكالياتها.

## حسابات إقليمية ودولية

بدأ النظام السوداني يستشعر

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

■ الحكومة استفادت من إغلاق المنافذ الإقليمية وحركة التمرد تحاول فتح قنوات جديدة
■ توازن القوي الهش سبب رئيسي لإطالة أمد الحرب الأهلية
■ سخونة عسكرية تقابلها حرارة سياسية مرتفعة في فصل الصيف

أهمية البلاد بالنسبة للولايات المتحدة بعد أحداث سبتمبر واستطاع أن يتكيف مع تداعياتها بصورة أذهلت كثيراً من الخبراء، حيث قدمت الخرطوم مساعدات معلوماتية قيمة لواشنطن، وأضحت الأخيرة معنية بتخفيف حدة الانتقادات للنظام، الى حين تحسين صورته نهائياً وتدشين خطاب يتوافق مع أجواء المرحلة الجديدة، ينطلق من ضرورة إبعاد التيار الاسلامي عن سدة الحكم في السودان والتغلب على المشاكل التي لايزال يثيرها تيار الدكتور حسن الترابي في الشارع السوداني. وهو ما يفسر الاصرار الكبير على تغيير كثير من مكونات الخطاب الرسمي والتشدد في ملف الدكتور حسن الترابي وعدم السماح بعودة نفوذه السياسي والشعبي مرة أخرى، بل وتقليص صلاحيات الكوادر والقيادات المحسوبة على تياره في الحكم.

ومن هذه الزاوية صعدت القوات الحكومية هجومها العسكري على حركة التمرد وهي مدركة أن حجم الانتقادات الغربية والأمريكية بصفة خاصة أقل من سابقاتها في مثل هذه الأوضاع. فقد كانت ردود الأفعال الغربية تأتي دوماً بسيول من التصريحات العنيفة ضد الخرطوم. لكن في هذه المرة بدت الادانات شحيحة والاتهامات موارية. الأمر الذي ينطوي على رسالة في الاتجاهين. للحكومة وامكان مواصلة هذا الأسلوب لاضعاف قوات قرنق. ولحركة التمرد وضرورة أن تتكيف مع أي مطالبات للحل السياسي الشامل وأن استمرار الرخاوي المزدوجة، سياسيا وعسكريا، لا يتواءم مع المستجدات التي طرأت على حسابات وترتيبات بعض القوى الدولية.

والواقع أن الأجواء الاقليمية الراهنة لعبت دوراً مهماً في تعزيز التفوق الحكومي. حيث يتمتع السودان بعلاقات طيبة مع غالبية دول الجوار، عكست افرازاتها السياسية والعسكرية سلباً على حركة التمرد. فقد شهدت علاقات الخرطوم مع كمبالا استقراراً نسبياً خلال الأشهر الماضية واستطاعت تجاوز الاحتكاكات التقليدية التي عكرت صفوها طوال السنوات الأخيرة. وجددت الخرطوم الاتفاق الخاص بحق الجيش الأوغندي في التوغل في جنوب السودان. وفي المقابل طلبت كمبالا صراحة من جون قرنق عدم المشاركة في عملياتها العسكرية ضد «جيش الرب» المعارض بقيادة جوزيف كوني، خشية انسحاب الخرطوم من تعاونها مع كمبالا ولقطع الطريق على احتمال عودة كوني الى أحضان الخرطوم. وبالتالي أصبحت الجبهة الأوغندية، من الناحية اللوجستية مغلقة امام قوات قرنق ويجد صعوبة في الاستفادة من الشمال الأوغندي لتجهيز قواته.

وعلى الصعيد الاريتري، تبدو العلاقات هادئة، على الرغم من تذبذبها من حين لآخر، من جراء استخدام ورقة المعارضة على الجانبين لمضايقة الطرف الثاني. واستطاعت الخرطوم الاحتفاظ بحدود دنيا من العلاقات وتجاوز المرارات التي تخلفها الطموحات الاريترية تارة، والحساسيات المتولدة عن تطوير علاقاتها بأديس أبابا تارة أخرى. المهم أن المساحة التي تتحرك داخلها قوات حركة التمرد وحلفائها ضيقة. وإذا حاولت أسمرة توسيعها، بمساعدات مباشرة أو غير مباشرة، قد تواجه مأزقاً كبيراً، في ظل النشاط الملحوظ لقوى المعارضة الاريترية، اذ بدأ دورها يتبلور ويأخذ شكلاً سياسياً وعسكرياً مؤثراً على النظام الاريتري في الآونة الأخيرة، ويمكن أن يكون السودان ساحة مناسبة لتحركاتها اذا نجحت أسمرة في مزيد من استفزاز الخرطوم. ولايمكن اغفال هذا الاحتمال. اولاً، لتزايد نشاط المعارضة السودانية داخل الأراضي الاريترية. وثانياً، لعدم وجود أفق محدد لطموحات القيادة الاريترية، فقد درجت على اختلاق الأزمات للخروج من مأزقها الداخلي. وثالثاً، لتوجية رسالة الى اثيوبيا فحواها عدم استبعاد توسيع نطاق المواجهة معها في أي فضاء اقليمي، سواء عبر السودان او الصومال وعلي الصعيد الاثيوبي، يمكن القول أن العلاقات بين الخرطوم وأديس أبابا شهدت تحسناً لافتاً على كافة مستويات التعاون والتنسيق. واستفاد السودان جيداً من الحرب الاثيوبية - الاريترية في إطار توثيق معالم الأواصر الثنائية. الوضع الذي أرخى بظلاله على قوات حركة التمرد التي كانت تتخذ من أثيوبيا مقراً رئيسياً لتحركاتها وحققت انتصارات عسكرية بفضل الدعم الأثيوبي السابق. من

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

حسن الترابي

هنا يمكن فهم الأبعاد التي تنطوي على عملية استعادة الخرطوم لمدينة «قيسان» الاستراتيجية، القريبة من الحدود الاثيوبية. وفي هذا السياق يمكن الاشارة الى ثلاثة ملامح. اولها، قيام أديس أبابا بإغلاق كافة مكاتب حركة قرنق في الأراضي الأثيوبية. وثانيها، توجيه تحذير أثيوبي لقرنق بأن أديس أبابا لن تتوانى في القاء القبض على عناصر حركته الذين فروا من «قيسان». وثالثها، قيام ملس زيناوي رئيس الوزراء الاثيوبي بتوبيخ جون قرنق على قيامه بنقل مقاتلي «الأورومو» المعارضين الى إقليم «ولقا» الاثيوبي أخيراً. وكلها عوامل تؤكد التفوق الحكومي وتفرض على قرنق أحد خيارين، الأول، المرونة في مفاوضات نيروبي المقبلة. والثاني، تهديد حقول النفط عملياً وتحمل التكلفة السياسية والمادية من قبل الأوساط الخارجية. فعلى الرغم من إعلانه سلفاً أنها هدف لقواته إلا أنه لم يجرؤ على قصفها، خشية غضب شركات النفط العالمية. وفي رأي مصادر حكومية أنه يفتقر الى القدرة العسكرية لتحقيق هذا الهدف. والحاصل أن هناك تركيزاً كثيفاً للقتال على الجبهة الشرقية والجنوبية الشرقية في السودان، حيث شهدت بعض الأقاليم في هاتين الجبهتين تصعيداً عسكرياً ملحوظاً. وفي رأى بعض المحللين أن لذلك جملة من الأسباب. في مقدمتها، تمركز عدد كبير من قوات قرنق، بغرض الاستفادة من السيولة الاجتماعية. وتواجد عناصر قوات التحالف السودانية «الرمزية» هناك التي انضمت الى قوات قرنق في أوائل هذا العام. كما أن الحدود مع اريتريا يصعب السيطرة عليها، وتموج بحرية كبيرة للحركة العسكرية المقصودة او غير المقصودة من قبل أسمرة. علاوة على ميل غالبية مناطق استخراج النفط نحو الجبهة الشرقية. وقد اعتبرها قرنق أن حقول البترول السوداني تمثل هدفاً استراتيجياً لقواته. لذلك تسعى الحكومة لتأمينها من خلال محاولة تجفيف منابع قوات حركة التمرد بالقرب منها. أضف الى ذلك أن الجبهات الأخرى مع أوغندا وتشاد وافريقيا الوسطى أكثر هدوءاً أو انضباطاً. وبالتالي فالتصعيد المتقطع على الجبهة الشرقية له مبرراته السياسية ودوافعه العسكرية.

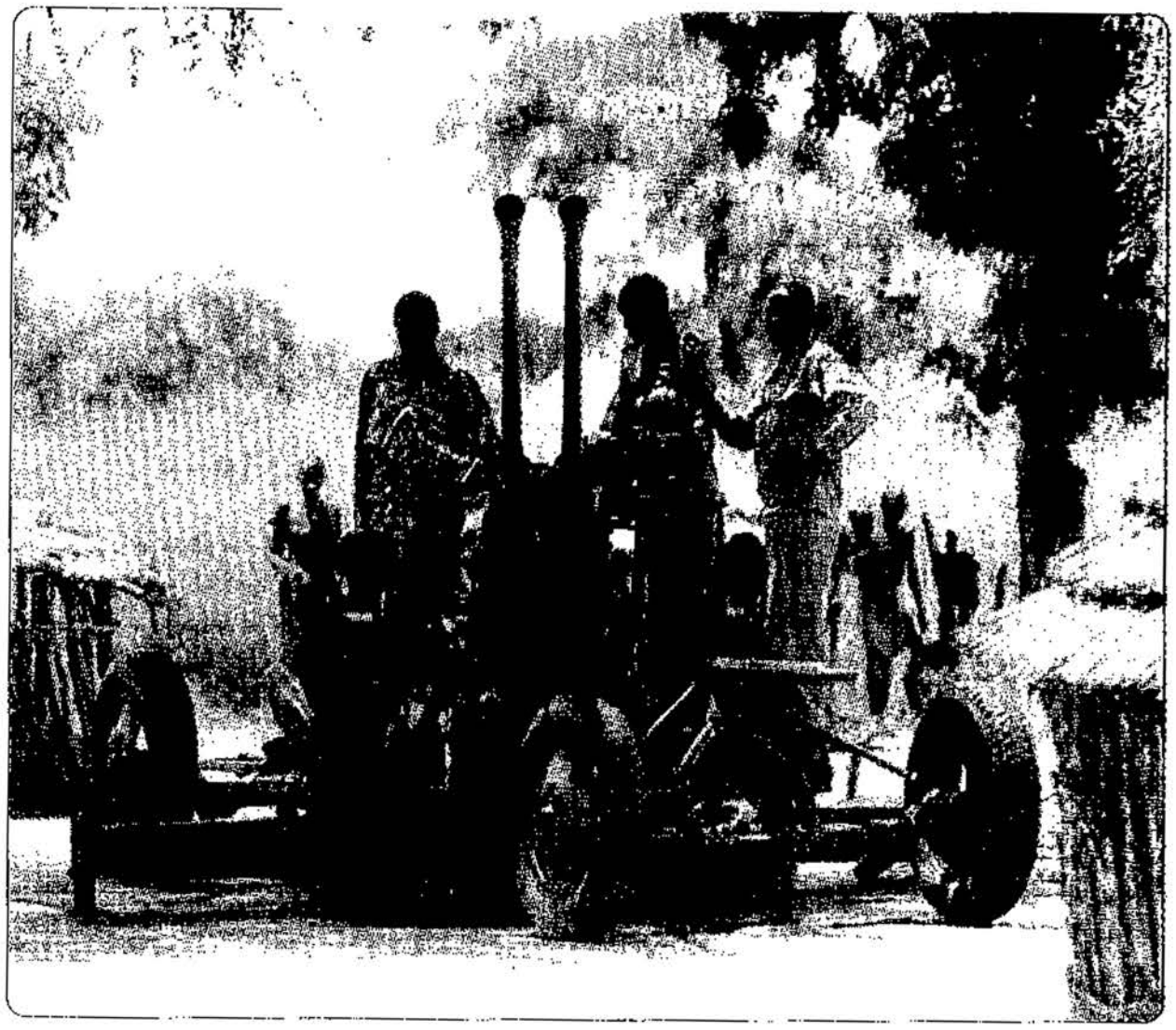

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية